المحاضرة الأولى: مفاهيم أساسية حول البحث العلمي

مقدمة:

يُعدّ مقياس منهجية البحث العلمي من أهم المقاييس التي تدرّس في مختلف التخصصات الجامعية، كونه يشكّل حجر الأساس في تكوين الباحث وتمكينه من الأدوات والمفاهيم التي تتيح له إنجاز بحوث علمية رصينة، إذ يُعنى هذا المقياس بتزويد الطالب بالمعرفة النظرية والمهارات التطبيقية الضرورية لفهم طبيعة البحث العلمي، وضبط خطواته المنهجية ابتداءً من تحديد المشكلة وصياغة الإشكالية وطرح الفرضيات، مروراً باختيار المنهج والأدوات المناسبة لجمع البيانات وتحليلها، وصولاً إلى تفسير النتائج وصياغة الاستنتاجات، ويكتسي هذا المقياس أهمية خاصة لكونه يرسّخ لدى الطلبة مبادئ التفكير العلمي النقدي، ويُنمّي فيهم القدرة على التعامل مع الظواهر والمواضيع بأسلوب موضوعي ومنظم، بعيداً عن الطابع الانطباعي أو العشوائي ومن ثم فإنّ منهجية البحث العلمي ليست مجرد مادة أكاديمية، بل هي آلية معرفية وأداة عملية تسهم في بناء القدرات البحثية، وتعزيز جودة الإنتاج العلمي داخل الوسط الجامعي وخارجه.

1. منهجية البحث العلمي: توطئة معرفية عامة

1.1. المنهجية

بداية تجدر الإشارة إلى أن المقصود بالمنهجية هنا هو منهجية البحث العلمي وليس المنهجية عموما، وثانيا أن تعريف المنهجية عادة ما يرفق بالمقارنة مع مفاهيم شبيهة به مثل المنهج، وتصميم البحث وباراديغم البحث واستراتيجية البحث والمقاربة الشاملة للبحث والمدخل المنهجي ....

نستطيع أن نعرف منهجية Methodology البحث بأنها "الوسيلة والطريقة التي يعتمد عليها الباحث لإنجاز بحثه وتحقيق هدفه، أو أهدافه، التي عمد إلى تحديدها مسبقا"

والمعنى الواسع للمنهجية يجعلها تشمل كل خطوات البحث، من الإشكالية إلى نشر النتائج، مع تفسير كيفية استعمال مناهج وأدوات البحث لتحديد أهدافه والإجابة على تساؤلاته أو اختبار فرضياته، وإن المنهجية لا تتضمن اختبار المناهج المناسبة فحسب بل تتضمن أيضا الإطار النظري الذي يوجه عملية البحث بأكمله.

2.1. تعريف البحث العلمي

لغة: يتكون البحث العلمي من كلمتين هما البحث والعلم، البحث هو التقصي والاستقصاء المنظم، أما العلم فهو مجموعة القواعد والمبادئ التي تشرح بعض الظواهر.

البحث العلمي: " هو وسيلة أو استراتيجية للاستعلام والاستقصاء المنظم والدقيق الذي يقوم به الباحث بغرض اكتشاف معلومات أو علاقات جديدة، بالإضافة إلى تطوير المعلومات الموجودة فعلا أو تصحيحها، على أن يتبع في هذا الفحص والاستقصاء الدقيق، خطوات المنهج العلمي، اختيار الطريقة والأدوات اللازمة لجمع البيانات والمعلومات وبحثها"

2. أهمية البحث العلمي

وبما أن موضوع البحث العلمي يقوم أساسا على طلب المعرفة وتقصيها والوصول إليها، فإن أهمية البحث العلمي تبرز فيما يأتي:

- الحاجة إلى تغطية النقص الواضح في معلومات البحث الذي يرغب الباحث بدراسته، ويمكن التعرف على هذا النقص عن طريق الاطلاع على البحوث والدراسات المختلفة في مجال التخصص.
- الحاجة إلى شرح ظاهرة ما لا يوجد تفسير علمي دقيق لها، لذلك تبرز أهمية البحث في دراستها بمنهج بحثي للتحقق من التخمينات والاجتهادات المبنية على الآراء الشخصية البحثة التي ينقصها الجانب الموضوعي في كثير من الأحيان.
- الحاجة إلى اختبار نظرية من النظريات في بيئة لم يسبق اختبارها فيها، ذلك أن معظم النظريات نشأت في المجتمعات الغربية وترعرعت فيها، وتنطبق نتائجها البحثية على تلك المجتمعات دون غيرها، وعلى الرغم من أهمية تلك النظريات في شرح الظواهر إلا أنه لا يمكن تعميمها على جميع المجتمعات، لذلك تبرز أهمية البحث العلمي في محاولة التعرف على مدى ملائمة تلك النظرية لأفراد مجتمعاتهم.
- الحاجة إلى تقييم الوضع الراهن، ويتكرر هذا النوع من البحوث في دراسة جمهور تتغير سلوكياته بدرجة سريعة، فتكون أهمية البحث في رصد تلك التغيرات بصورة تعين على وضع حلول جديدة طبقا للتغيرات التي حدثت.

3. خصائص البحث العلمي

تمتاز خصائص البحث العلمي بما يأتي:

- البحث العلمي بحث منظم ومضبوط: أي أنه نشاط عقلي منظم ومضبوط ودقيق ومخطط، حيث أن المشكلات والفرضيات والملاحظات والتجارب والنظريات قد تحققت واكتشفت بواسطة جهود عقلية منظمة ومهيأة جيدا لذلك.
- البحث العلمي بحث نظري: لأنه يستخدم النظرية لإقامة الفرض وصياغته والذي هو بيان..... يخضع للتجريب والاختبار.
- البحث العلمي بحث تجريبي: لأنه يقوم على أساس إجراء الاختبارات والتجارب على الفروض.
- البحث العلمي بحث تجديدي: لأنه ينطوي دائما على تجديد وإضافات في المعرفة عن طريق استبدال متواصل للمعرفة القديمة بمعارف حديثة وجدية.
- البحث العلمي بحث تفسيري، أي إنه يستخدم المعرفة العلمية لتفسير الظواهر والأمور والأشياء بواسطة مجموعة من المفاهيم المترابطة تسمى النظريات.
- البحث العلمي بحث عام ومعمم، لأن المعلومات والمعارف لا تكتسب الطبيعة والصفة العلمية إلا إذا ملأت بحوثا مهمة.
- البحث العلمي بحث موضوعي.
- يتكون البحث من أجزاء مترابطة في الشكل والمحتوى والأسلوب.

4. أهداف البحث العلمي

تكمن أهداف البحث العلمي فيما يلي:

- خدمة المجتمع.
- التعرف على الجديد واكتشاف المجهول.
- مواجهة التحدي لحل المسائل غير المحلولة.
- الرغبة في الحصول على درجة علمية أو أكاديمية (ماجستير، دكتوراه).
- توجهات المؤسسة وظروف العمل لإجراء البحوث والدراسات.
- الشك في نتائج بحوث ودراسات سابقة.
- المتعة العقلية في إنجاز عمل أو إبداع أو حل مشكلة تواجه شخصا أو جماعة.

- استعراض المعرفة الحالة وتحليلها وإعادة تنظيمها.
- وصف موقف معين أو مشكلة محددة (البحوث النظرية).
- وضع تفسيرات وتحليلات لشرح ظاهرة أو مشكلة معينة وهو النوع المثالي الذي يعتمده الباحثون المهنيون.

5. أنواع البحث العلمي وتصنيفاته

يمكن تمييز وتصنيف أنواع البحث العلمي بحسب طبيعة البيانات وطريقة تحليلها والمنهج المستخدم كما يأتي:

1.5. من حيث الاستراتيجية العامة للبحوث:

أ. البحوث الكمية: وهي التي تستخدم الأرقام في تحليل بياناتها.

ب. البحوث النوعية: وهي البحوث الوصفية التي تستخدم الأرقام إلا في حدود ضيقة في تحليل بياناتها وتقتصر على مجرد وصف الظاهر أو الأحداث.

ت. البحوث المكتبية: وتتم داخل المكتبة أو المكتب ويلجأ إليها الباحث طالما لا توجد ضرورة للخروج خارج المكتب وتعتمد على جميع البيانات من الكتب والوثائق.

2.5. من حيث طبيعة البحوث:

أ. البحوث النظرية: وهي التي يتم فيها التوصل إلى حقائق علمية يمكن تقنينها وتعميمها بذلك تسهم في نمو المعرفة العلمية وفي تحقيق فهم أشمل وأعمق لها بصرف النظر عن الاهتمام بالتطبيقات العلمية لهذه المعرفة.

ب. بحوث تطبيقية: وتهدف إلى تطبيق المعرفة العلمية المتوافرة، أو التوصل إلى معرفة لها قيمتها وفائدتها العملية في حل بعض المشكلات الآنية، وهذا النوع من البحوث له قيمته في حل المشكلات الميدانية وتطوير أساليب العمل وإنتاجيته في المجالات التطبيقية كالتربية والتعليم، والصحة، والزراعة، والصناعة.....الخ.

3.5. من حيث أسلوب جمع البيانات:

أ. بحوث الملاحظة: حيث تعتمد على ملاحظة البشر أو الأشياء أو الطبيعة.

ب. **بحوث الاستبيان:** وهي التي تعتمد على الاستبيان كطريقة الاستقصاء وجمع المعلومات.

ت. **بحوث المقابلات الشخصية:** وتعتمد على المقابلات الشخصية وتوجيه الأسئلة إلى الأشخاص لاستقاء المعلومات مباشرة.

ث. **بحوث التحليل غير الكمي:** وهي التي تعتمد على ملاحظة الباحث لحالات معينة من خلال مدة زمنية محددة وتسجيل هذه الملاحظات بغرض شرح ما قد يحدث.

ج. **بحوث الوثائق:** وتعتمد على الوثائق كأساس لاستقاء المعلومات وخاصة التي تتصل بأحداث تاريخية مثل الحروب.

ح. **بحوث الاختبار:** وهي التي تعتمد على الاختبار كوسيلة لقياس المعلومات والبيانات وتستخدم الدرجات كمقياس للتعبير عن دقة نتائج الاختبار.

4.5. من حيث المستوى الدراسي:

أ- **البحوث القصيرة:** وهي لطلبة الدراسة الجامعية الأولية لتعويد الطلاب على دخول المكتبة وتنمية مهاراتهم في استخدامها والتعرف على فهارسها ومصادر المعلومات الموجودة بها.

ب- **رسالة الماجستير:** وهي خاصة بالباحثين الذين يعدون رسائل الماجستير لحل احدى المشكلات وفرض الفرضيات بقصد اختبار صحة هذه الفرضيات.

ت- **أطروحة الدكتوراه:** وهي خاصة بالباحثين الذين يعدون رسائل الدكتوراه بغرض التوصل لابتكارات جديدة والوصول إلى نتائج يمكن تقنينها وتعميمها وتنفيذها.

5.5. من حيث منهج التفكير:

البحوث الوصفية – البحوث التاريخية – البحوث التجريبية – البحوث الميدانية.....